يُصر في اول تجربة اخراجية له على تقديم دراما اجتماعية معاصرة من لحم ودم

زهير قنوع: لا توجد أزمة في الدراما السورية... بل في آلية التسويق

لقطة من مسلسل «ما شاء الهوى» (القدس العربي)

زهير قنوع وراء المونتير (القدس العربي)

دمشق ـ «القدس العربي» ـ من أنور بدر

زهير قنوع من الفنانين الشباب الذين اشتغلوا في المسرح والدراما التلفزيونية لسنوات، قبل أن تسند إليه مهمة اخراج أول مسلسل تلفزيوني «ماشاء الهوى»، والذي يؤكد أن شركة «راية» المنتجة والتي يديرها بنفسه، قد وفرت كل مستلزمات الانتاج من نص قوي، وممثلين هم نجوم سورية، وامكانيات مادية جيدة تؤهل لانجاح العمل، مما يشكل تحديا في أول تجربة اخراجية له.

و«القدس العربي» حاورته انطلاقاً من علاقته بالنص:

■ كنت أحلم منذ البداية أن يكون أول عمل يحمل توقيعي كمخرج، هو عمل يلامسني بطريقة ما، يخصني كهم وكموضوع، والحقيقة أنني كتبت مسلسلاً تلفزيونياً «أهل الغرام» بالتعاون مع لبنى حداد، وقد أحببت كثيراً أن أخرجه، إلا أن الشركة المنتجة «ساما» أسندت الاخراج للصديق الليث حجو.

لكن عندما قرأت سيناريو «ما شاء الهوى» اكتشفت أنه يشبهني أكثر من النص الذي كتبته أنا، فهو دراما اجتماعية معاصرة من لحم ودم، شخصياته موجودة في الشارع فعلاً، وليس كما يقولون أن الحياة شيء والدراما شيء آخر، فاجأني هذا النص الدرامي بأنه انعكاس لشخصيات حية نعرفها جميعاً وتعيش بيننا، وتنتمي لجيلنا جيل الشباب. فأنا غير مهتم حقيقة بالحديث عن جيل السبعينيات في سورية ولا عن جيل المستقبل، بل أحب الحديث عن الجيل الراهن الذي له علاقة بنبض الحياة والشارع اليومي، له علاقة بالمتغيرات التي تعصف بحياتنا، والإحباطات التي تصادر أحلامنا، له علاقة بتحول منظومة القيم الإنسانية أمام ضغط الحياة ومستلزمات العيش. حتى طريقة كتابة السيناريو والحوار كانت حياتية أو معاشة على صعيد المفردات والتراكيب وأسلوب الصياغة. وفي اعتقادي أن أبناء هذا الجيل أنفسهم هم الأقدر على التعبير عن هموم هذا الجيل واشكالاته، وهم الأقدر على الدخول إلى القاموس اللغوي لأبناء جيلهم. وهذا برأيي أحد أهم أسباب نجاح النصوص الشبابية.

لكنني أضيف بخصوص النصوص الشبابية، أن ما يميز نص يم كونه نصاً نسوياً، وأنا مع هذا النص لإحساسي أن المرأة أقدر من الرجل على التقاط التفاصيل، وهذا شيء من طبيعة المرأة. علاقتها بالمنظومة اللونية هي أضعاف المنظومة اللونية عند الذكر، وعندما تكون في جلسة قد تنتبه المرأة إلى أضعاف تلك التفاصيل التي قد تثير اهتمامك كرجل.

إضافة إلى خبرة يم الصحافية، وإلى دراستها الأكاديمية، لذلك أقول أن النص سرقني حقيقة، وهو فرصة لأي مخرج في بداية مشواره المهني.

■ سبق واشتغلت بالمسرح والدراما التلفزيونية وحتى بالسينما، لكنها فرصتك الأولى كمخرج، إلى أي درجة اختلفت لديك الأدوات؟

■ الدراما شيء مختلف عن المسرح وعن السينما، إذ كانت لي تجربة في المسرح، كما عملت في فيلم سينمائي قصير «باب الحديد» هو بشكل أو بآخر فيلم تلفزيوني، إذ نفذته بتقنيات التلفزيون، وكان من بطولة غسان مسعود وديما قندلفت، لكن تجربتي الأهم كانت في حقل الدراما التلفزيونية منذ عشر سنوات تقريباً، إذ عملت كمساعد مخرج مع كبار المخرجين كهيثم حقي وحاتم علي وهشام شربتجي. لذلك أقول لك أن الدراما شيء مختلف عن المسرح وعن السينما، ولكنني لست بعيداً عن أجوائها ولا غريباً عن أدواتها الفنية.

وإذا حيّدنا الموهبة، فالمسألة تشبه طبخة أو مجموعة مفاتيح، فعلى المخرج أن يلم بموضوع الإضاءة وتقنيات الصوت وتكاليف الانتاج ويجب... وهذه مواصفات يمكن اكتسابها عبر التعلم والدراسة الأكاديمية، ويمكن اكتسابها عبر الخبرة أيضاً، فإذا أنت اشتغلت مع مخرجين مهمين ومع شركات انتاج مهمة، ومع كتاب نصوص مهمين فلا بد أن تكتسب هذه التقنيات والمعارف المتصلة بتفاصيل المهنة. أما موضوع الموهبة فهنالك مخرجون يفتقدون تلك الموهبة أو الرؤيا، وهنالك مخرجون فرضوا تميزهم منذ أول عمل لهم، والجمهور والنقاد والصحافيون سوف يصدرون أحكامهم بهذا الصدد. مع التأكيد أن الدراما التلفزيونية ليست غاية طموحي، بل هي مرحلة في حياتي.

■ كيف تعاملت مع العدد الكبير من الشخصيات في هذا العمل؟

■ يُمكن النظر للنص باعتباره إشكالية من الزاوية الانتاجية، ففيه سبع شخصيات رئيسية وما يُقارب (65) شخصية رئيسية أخرى، مع أن أدوارها كانت قصيرة وتتراوح ما بين ثلاثة إلى أربعين مشهداً فقط.

وكنا حريصين في شركة «راية» للانتاج الفني أن نقدم عملاً ناجحاً بالمعنى الفني والتجاري، فإذا طلبت نجماً لدور من ثلاثة مشاهد فقط، فإنه سوف يرفض أو يطلب أجراً مرتفعاً. وهذا ما حصل معنا، فارتفعت الموازنة الانتاجية فيما يخص أجر الممثلين إلى الضعف، وأنا لا أعتقد أننا خسرنا بذلك، بل ربحنا أعداداً كبيرة من النجوم لصالح هذا العمل. فعلى سبيل المثال يلعب الأستاذ «خالد تاجا» (11) مشهداً فقط، والسيدة «منى واصف» لها (9) مشاهد، كذلك النجم الشاب «رامي حنا»، بينما كل من الأساتذة: حسن عويتي وعبد المنعم عمايري وعبد الهادي الصباغ دون (25) مشهداً فقط في هذا المسلسل.

أسماء كبيرة من هذا النوع تواجدها كله في مساحات صغيرة، ولكنها أدوار مهمة، بالإضافة للأبطال الأساسيين السبعة: باسل خياط، أمل عرفة، ديما قندلفت، كاريس بشار، قيس الشيخ نجيب، نضال نجم، وكفاح الخوص. وهناك أسماء أخرى مهمة كلينا حوارنة، رنا أبيض، ومجموعة كبيرة من خريجي الدفعات الأخيرة للمعهد العالي للفنون المسرحية، أي الوجوه الشابة الجديدة كهاني البكار، لينا أحمد، لمى أحمد، خليل جنادي، رنا شميّس، محمد الأحمد، ومجموعة كبيرة من الخريجين الجدد يتصدرون لأدوار حلوة جدا. في مسلسلنا توجد شخصية قصي الروائي والطبيب الذي يُقيم علاقة مع مدى وهي فنانة تشكيلية من جيل الشباب، وهناك زوجة قصي التي لا تظهر إلا في ثلاثة مشاهد فقط، وقد أعطيت هذا الدور لنجمة مشهورة وأنا خائف من قولها:

«إنه من أجمل الأدوار التي عملتها في حياتي». وهي تتحدث عن ثلاثة مشاهد فقط، بينها مشهد ماستر يُمكن تحويله إلى فيلم قصير، فيه صراع ومنافسة عندما تتصدى لغريمتها الفنانة التشكيلية لتطلب منها الابتعاد عن زوجها، دون أن تشير إلى معرفتها بالعلاقة بينهما، مشهد مكتوب بطريقة بعيدة عن المباشرة، مكتوب بلغة ما بين السطور، وهي بذات الوقت لغة واقعية، لغة النساء التي نسمعها كل يوم.

هذا النص الجميل هو الذي أقنع الكثير من النجوم على قبول ادوار صغيرة، وأقنع الشركة أيضاً على فرد الإمكانيات المادية، وهذا بدوره أدى إلى رفع سوية العمل ككل.

الكاتبة يم مشهدي (القدس العربي)

■ هل واجهتكم إشكاليات مع الرقابة؟

■ أنا أصور شاباً جامعياً يُتاجر بالحشيش، كما أصور مشاهد عن علاقة جنسية غير شرعية، والحقيقة هذه أشياء موجودة في مجتمعنا، ونسمع بها كل يوم، وأنا صورت هذه المشاهد لقناعتي بضرورتها، حتى لو حذفتها الرقابة لاحقاً، وأعتقد أنها لن تفعل ذلك، لأنها معمولة بطريقة لا تخدش الحياء العام، وتخلو من أي إساءة.

نحن لدينا مشكلة مع الرقابة، لكن مشكلتنا الأكبر في داخلنا نحن العاملين بالحقل الفني، إذ تنقصنا الجرأة على رفع سوية الخطوط الحمر.

■ أين وصلتم بالتصوير؟

■ أنهينا (13 %) من التصوير، ويوجد حماس شديد للمتابعة بوتائر أسرع، وسوف يكون العمل جاهزاً للعرض في رمضان القادم، والحمد الله بدأت تأتينا عروض تسويقية من الآن.

■ بصفتك مدير شركة انتاج جديدة، كيف ترى واقع الدراما السورية؟

■ ببساطة وبعيداً عن التنظير أقول أنه في عام /1991/ كانت لدينا خمسة أعمال درامية في السنة، والعام المنصرم بلغ العدد (31) عملاً، وهذه السنة يوجد لدينا (47) عملاً درامياً، وهذا مؤشر على نجاح الدراما السورية، قد توجد شركة أو شركتان لهما أسباب للانتاج خارج الحقل الفني، أما الحديث عن (47) عملا دراميا فهذا يعني وجود (47) شخصا كل منهم يغامر بعشرات الملايين في هذا الدراما، ولولا أنها ناجحة ورابحة أيضاً لما غامر أحدهم بذلك.

الحديث عن أزمة الدراما السورية حديث مفتعل، فهذه السنة لدينا خمس شركات انتاج جديدة، ولدينا خمسة مخرجين جدد، وعشرة كتاب دراميين يقتحمون المجال لأول مرة، وهذا كله يدل على ازدهار الدراما السورية وليس على أزمتها.

أنا أتحدث بلغة الأرقام لإيماني أنّ الكم يُفرز نوعاً جيداً، ولكن بعيداً عن هذه القاعدة أستطيع القول أنّ لدينا هذه السنة (11) عملاً ينتمي للدراما الاجتماعية المعاصرة، سبعة منها تتناول قضايا الشباب، كل واحد بمنظور مختلف ومعالجة خاصة، ناهيك عن الأعمال التاريخية أو الكوميديا.

مشكلة الدراما السورية إذا كان لنا أن نتحدث عن مشكلة فهي التسويق، وبشكل أدق هي في آلية التسويق، لا يوجد عمل تلفزيوني لا يُباع، لكن المصريين يبيعون مسلسلاً لنور الشريف مثلاً مع آخر صغير وبرنامجين تلفزيونيين على طريقة «الصفقة الواحدة»، بينما نحن لا نعرف التعاون بين شركات الانتاج، ولا يوجد اهتمام أو رعاية من قبل الدولة بالانتاج الدرامي وتسويقه، حتى التلفزيون السوري بصفته اكبر جهة منتجة درامياً، إلا أنه وبكل أسف لا يقدم إلا أعمالاً متوسطة أو رديئة، بسبب القوانين والبيروقراطية السائدة، فما المانع أن يسند التلفزيون اخراج أحد أعماله إلى حاتم علي مثلاً؟ ما المشكلة في أن تكلف شركة خاصة مهام الشركة المنتجة المنفذة لصالح التلفزيون إذا كان الهدف هو انتاج مُسلسل ناجح وتسويقه تجارياً؟

أنا أعتقد بوجود منتفعين وراء القصة، ليس في مصلحتهم إقامة تعاون بين القطاع العام والخاص، ولو تحقق هذا التعاون بين التلفزيون بإمكانياته الضخمة والشركات الخاصة بخبرتها العريقة لاستطعنا تقديم أعمال تتجاوز حدود المحلية وحتى العربية.

امسية تراثية لفرقة الحنونة للفنون الشعبية:

تعبيرات عن احداث النكبة الفلسطينية بالصور والنغمة الشعبية

عمان ـ «القدس العربي»:

لا خلاف على ان الثقافة الشعبية والتراث الشعبي هما العصارة التي يسطرّها الناس في تفاعلهم مع الأرض، الظروف البيئية، الجغرافية، السياسية وتعاملهم بعضهم مع بعض، أنها خلاصة تجربتهم الحياتية التي صمدت لامتحان الزمن وعبرت الأجيال لتصبح ملمحا من ملامحهم بل تفاصيل في هويتهم الوطنية.

ولا شك ان التراث كان احد عناصر الثقافة الشعبية التي تحدت التقسيمات السياسية في المنطقة ببساطة لأن الناس على هذه الأرض عاشوا آلاف السنين في ظل نفس الظروف البيئية والسياسية ولانهم ظلوا على تواصل مستمر رغم كل الظروف فكانت المفردات الثقافية تتأصل في الناس أيا كان المسمى السياسي الذي يخضعون له.

وإذا أخذنا منطقتنا كنموذج فإننا نلاحظ ان العادات،التقاليد، الحكم والأمثال الشعبية، الطقوس، المراسم كالأعراس والطهور وعودة الغائب، المواسم الدينية كالحج والأعياد، نلاحظ ان هذه جميعها تكاد تتطابق في سورية الطبيعية بشكل لافت ولعل ابرز ما يظهر هذا في الغناء الشعبي فإننا هنا نلاحظ ان الغناء الشعبي متماثل تماما في شمال فلسطين والأردن وجنوب سورية ولبنان لدرجة ان مباريات كانت تعقد قبل احتلال فلسطين بين الزجالين من الدول الأربع في العتابا، الميجنا، الدلعونا، الشروقي والقصيد وقد يفوز الشاعر السوري في العتابا ويفوز أردني في القصيد بينما يفوز لبناني في الطلعات (المربع والمقسوم) ويفوز فلسطيني في الشروقي، وتتبدى هذه الحقيقة أكثر وأكثر كلما ازددنا عمقا في دراسة التراث فنجد في النهاية ان التراث والثقافة الشعبية عنصران يضافان لعناصر وحدتنا وربما يكونان من أكثرها قربا للروح. ولأننا نقترب من تاريخ 5/15 ذكرى اغتصاب فلسطين لا بد من التعرض لمسألة مهمة هي أن مؤسسي دولة اسرائيل اعتمدوا على مقولات تاريخية لإثبات حقهم في فلسطين ودون الدخول في تفاصيل فان معظم هذه المقولات التاريخية قد سقطت أمام البحث التاريخي الآثاري الموضوعي الذي جرى في فلسطين خلال الـ150 سنة الماضية فمن الثابت الآن ان المملكة الاسرائيلية الموجودة التي يفترض أنها قامت في نهايات الألف الثاني قبل الميلاد لم تقم وان قامت فقد كانت (مشيخة) صغيرة، لم يدخل قادمون جدد إلى فلسطين وان مملكة إسرائيل التي قامت في المرتفعات الفلسطينية الوسطى لم تكن دولة يهودية، هذا ملخص سريع لمجموعة من الحقائق التي أصبحت اليوم موضع اتفاق بين الباحثين في هذا المجال، ولمن يرغب في الاستزادة ما عليه إلا اللجوء إلى ما يقوله الباحثون الآثاريون الاسرائيليون.

صحيح ان التاريخ يكتبه الأقوياء، وصحيح ان التاريخ لا يكفي لتحرير الأوطان لكنه يبقى حجة قوية لتفنيد مقولات الخصوم، ورد السحر على الساحر. إن اهتمامنا بالثقافة الشعبية نابع من إيماننا بدورها في تعزيز وتجذير الهوية الوطنية ولكننا نلاحظ ان ثقافتنا الشعبية في الاردن وفلسطين وسورية والوطن العربي بشكل عام تتعرض لهجوم شرس في زمن العولمة، والشرق الأوسط الكبير، ومع إيماننا بضرورة الانفتاح على كل مدخلات العصر العلمية والتقنية فإننا نفتقد لضرورة ان نعرف تفاصيل هويتنا أولا، أن نعرف لون بشرتنا ولون عيوننا، ان ننغرس في ترابنا حتى نستطيع ان نتلقى ما نتلقى من مدخلات حضارية جديدة ونحن راسخون في ارض كانت مهداً لأول حضارة قدمت للبشرية انجازات هائلة كالكتابة،اكتشاف المعادن الزراعة، بناء البيت، صنع المراكب الدواليب المركبات، وأخيرا رغم ان الغناء الشعبي والرقص الشعبي هما أكثر المفردات الشعبية تداولا إلا ان التراث ليس رقصا وغناء بل هو أكثر ملامح الهوية الوطنية نفاذا إلى الروح.

وفي هذا السياق اقامت جمعية الحنونة للثقافة الشعبية أمسية تراثية في العاصمة الأردنية عمان أمس الأحد وذلك إحياء لذكرى اغتصاب فلسطين يوم 1948/5/15 وتضمن العرض الفني فقرات حاولت تصوير الواقع الفلسطيني والعربي خلال الفترة من الاغتصاب وحتى يومنا هذا آخذين بعين الاعتبار أننا شعب يحب الحياة ويغني لها رغم كل النكبات والنكسات والصعاب التي مرت ولا زالت تمر بها.

وجديد الحنونة هذه المرة هو استخدام آلة عرض الصور لتشكل جزءا من فقراتها فيما يتعلق بالأحداث التي يعجز الإنسان عن تصويرها كما حدثت فعلا ومنها الهجرة، النزوح، والانتفاضة وهذا لا يشكل ضعفا أو قصورا في الحنونة ولكن هي رغبة في ان يكون التعبير حقيقيا عن الحدث، كما أنها تشكل تجربة جديدة للحنونة في المزج بين التعبير بالنغمة الشعبية والرقص الشعبي والاستعراض وبين الحقيقة كما هي فعلا.

كما كرمت الحنونة في هذه الأمسية عددا من الرموز الوطنية التي كان لها حضور مميز خلال هذه المسيرة الطويلة والشاقة، كما تكرم مجموعة من الداعمين لنشاط الجمعية ماديا ومعنويا خلال رحلتها على مدى 16 عاما.

الجديد أيضا في هذه الأمسية مجموعة من الاسئلة المتعلقة بالثقافة الشعبية بعناصرها المختلفة بحيث تطرح على الحضور، وصممت هذه الاسئلة على شكل مجموعات كل منها متعلق بعنصر أو أكثر من عناصر الثقافة الشعبية، هذه الإضافة تقدم معلومة جديدة لعدد من الحضور وترسخها لدى الآخرين ممن يعرفونها كما أنها تتسم بالطرافة والغرابة في بعض الأحيان، نقدم بعد ذلك هدايا متواضعة للفائزين.

وعرضت الحنونة زيا شعبيا للمزاد، وريع مثل هذه الأمسيات يمثل جزءا مهما لتغطية نفقات الجمعية وتمويل نشاطاتها علما بأن الحنونة تعتمد بشكل كلي على نشاطها الذاتي في تغطية احتياجاتها المالية.

موافق على تقديم الاغاني الدينية والقومية.. عند الضرورة!

محمد الحلو: لم أتراجع عن اعتزالي الغناء كما يتردد

القاهرة ـ «القدس العربي» ـ من محمد عاطف:

نفى المطرب محمد الحلو أنه تراجع عن قرار اعتزاله الغناء الذي اتخذه منذ عدة أشهر.. حيث انتشرت هذه الشائعة بسرعة بعد الغاء الحفل الذي دعا اليه الحلو ليكون حفل اعتزاله الغناء بحضور عدد كبير من النجوم.

بمواجهة محمد الحلو قال: غير صحيح أنني تراجعت عن اعتزالي لأنني اتخذت هذا القرار بعد دراسة متأنية لما يحدث على الساحة الغنائية التي لن أتآلف معها وتختلف عن منهجي الفني تماما.

أضاف: تردد تلك الشائعة بعد الغاء حفل اعتزالي.. وهذا تم بسبب ظروف حادث العبارة السلام التي أودت بحياة أكثر من ألف شخص.. فقررت بنفسي تأجيله لعدم ملاءمة الجو العام في مصر وشعور الناس بأزمة الحادث.. واتصلت بنقابة الموسيقيين التي ترعى الحفل لتختار موعدا آخر أكثر تناسبا مع الجمهور والفنانين.

أشار الحلو الى أنه يمكنه ان يشارك بصوته في الأغاني الدينية أو الوطنية فقط لأنها مناسبات مهمة ولها مردود قوي داخل نفوس الجمهور على مختلف الفئات والمستويات وذلك عند الضرورة.

حول مشروعاته القادمة قال محمد الحلو: تركيزي الان على انشاء مدرسة الموهوبين في الغناء التي أراها امتدادا لنفسي وأفضل وسيلة لمحاربة العري والغناء الغث والأشكال التي أدت الى خروجي عن الوسط وعن رسالتي الغنائية.

وقال: المدرسة تحت الانشاء حاليا ولن ابدأ فيها الا بعد ان تصل للمستوى الذي أطمح اليه حتى تتناسب مع المواهب التي أتمنى تقديمها للساحة الغنائية بعيدا عن أسلوب الوساطة والعلاقات وما أشبه بذلك في الوسط الغنائي وهذا الأسلوب دمر الحالة الغنائية الصحيحة وجعل كل من هب ودب يدخل الغناء بدون أي موهبة.

عن مشروع قراءة القرآن الكريم الذي ينوي تقديمه قال الحلو: أنه أهم مشروع في حياتي لكنني لن أتسرع فيه حتى أتقنه.. وأقوم حاليا مع الملحن أمير عبد المجيد على التدريب المستمر لأنواع قراءات القرآن الكريم خاصة أن أمير يجيدها تماما وهناك صعوبة أن نجد شخصا يعرف كل أنواع قراءات القرآن.. وفور اتقاني لها سوف ابدأ في تسجيل القرآن الكريم لأنه أهم مشروع في حياة الانسان أن يقرأ القرآن بصوت يحبه الناس في كل مكان.. وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفقني فيه.

محمد الحلو (القدس العربي)

فضائيات

دعوة الى تأجير فضائية تدعم المصريين بتمهيد الطريق الى سبتمبر مبارك

هويدا طه*

■ تشعر وانت تتابع تفاصيل (معارك القاهرة) ان (كل) الاطراف تكاد توقن انه ربع الساعة الاخير.. مبارك وسلالته وافراد عصبته، القضاة، رجال الشرطة، المعارضون الناشطون، الصحافيون، المراقبون مصريين كانوا او اجانب، المواطنون مهتمين كانوا او حتى لا مبالين، الشرفاء واللصوص، الصغار والكبار، النساء والرجال، الاثرياء والفقراء.. الجميع، الجميع يستشعر ثقل لحظة الانفجار القادمة.. الجميع يعرف انها قادمة، ورثنا في مصر (جينا اجتماعيا) يستشعر تلك اللحظة قبيل سقوطها على الرؤوس، ما نجهله فقط هو كيف ومتى ستحل تحديدا (ساعة الصفر)؟ ومع ذلك.. يستمر الجميع في الترقب.. فالقادم معروف نتيجة.. لكنه غير معروف التفاصيل.. لحظة الانفجار تلك ـ وفي هذا الزمن شديد التأثر بالفعل الاعلامي ـ تقترب او تبتعد (في احد اركان تحليلها) حسب قدرة كل من تلك الاطراف على (توظيف الاعلام) بوسائله المختلفة، يحتقن الشارع المصري بشدة عندما يركز الاعلام اضواءه على قضية.. تبدو وكأنها تلك القشة التي تنتظرها كل الاطراف، ويسترخي ذلك الشارع (ظاهريا على الاقل) عندما يتباطأ او يتميع الاعلام في لمسه لهذه القشة المنشودة.. لكن في جميع الاحوال تتصارع كل الاطراف على (المساحة الاكبر) في وسائل الاعلام.. وعلى الوصول الى اوسعها انتشارا.. الفضائيات خاصة.. بينما تترقب تلك الفضائيات بدورها الحدث المنتظر.. وبحذر شديد.. فهي دائما (واغلبها تملكها جهات ترتبط بمصالح ما مع مجموعة مبارك) تدعي الحياد والموضوعية وما الى ذلك من مصطلحات مائعة! فلا تريد المغامرة بالاشارة الى قشة بعينها.. فتقسم ظهر البعير قشة اخرى.. فيفشل رهانها.. فتكون من الخاسرين!

داخل مصر تبدو الصحافة المستقلة اكثر جرأة وكسرا للحدود، وبدأ بالفعل في العامين الاخيرين التصادم المباشر مع افراد العصابة بالاسم والصورة والفعل.. لكن بالطبع القراء هم دائما الاقل عددا من مشاهدي التلفزيون في مصر، والتلفزيون بدوره اما حكومي لا يرجى منه نفعا.. فهو غير مصدق وغير مؤثر بل ومثير للسخرية والتهكم في لا معقوليته.. عندما يدفن رأسه في وحل نظام مبارك! او غير حكومي مثل قناة «دريم» مثلا.. حيث يتوفر فيها سقف اعلى مما سبق.. لكنه يظل دائما سقفا آيلا للسقوط، يمنع تلك القنوات الخاصة ومنها قناة «دريم» من رفع الرأس اكثر مما ينبغي، النتيجة ان معركة المصريين مع نظام مبارك ـ والتي يتقدمها القضاة في اللحظة الحالية ـ لا تجد اعلاما متحيزا لها ولهم بوضوح وحسم وبدون خوف، وربما عدم وجود وسيلة اعلام (مرئية) متحيزة بوضوح للمصريين هو السبب في غياب القاعدة الشعبية الأوسع عن هذه المعركة، الثورات الآن ليست كأخواتها التاريخيات.. الثورات الآن تنتشر تلفزيونيا وربما حتى يصنعها التلفزيون، والثورات تحتاج الى تحرك ملايين وليس بضع مئات.. وملايين مصر هم من الفقراء والفلاحين وسكان القرى والمدن الاخرى البعيدة عن القاهرة والاسكندرية، هؤلاء هم الضحايا اساسا لفساد وطغيان مبارك ونظامه.. وهؤلاء هم المعنيون اساسا بكل اصلاح او بالاحرى تغيير مأمول.. واي تغيير لا يغير اوضاعهم المزرية هو تزييف وليس تغييرا، لكنهم ربما لا تصل اليهم الصحافة المستقلة.. وان فعلت فقد لا يلتفتون اليها.. اما لغياب الوعي او لحضور الامية، انما من المؤكد ان التلفزيون هو صلتهم الفعالة بالعالم وربما بالوجود ذاته، وبدون تحركهم ـ او تحريكهم ـ لن تكون هناك ثورة ولن يكون هناك تغيير.. ولن يأتي ابدا سبتمبر مبارك الذي ينتظره المصريون ان عمدا او قضاء وقدرا..

قبيل سقوط شاه ايران كان (شريط الكاسيت) المسجلة عليه خطب الخميني تدخل ايران وتنتشر بين الناس.. حتى تم (الحشد اللازم) فسقط الشاه الى قاع التاريخ وتغيرت ايران (بغض النظر عن الموقف مما تغيرت اليه فالعبرة في الامر هي ذلك الحشد الذي تم فقامت تلك الثورة).. كان شريط الكاسيت في ذلك الحين يشبه الفضائيات الآن، وجود محطة تلفزيونية ما معنية اساسا بحشد تلك الملايين من المصريين عمدا وبحسم وبدون تذرع بكلمة الموضوعية (تلك الكلمة المايعة!) هو شيء مهم للتسريع بالوصول الى سبتمبر مبارك.. لانهاء هذه الحقبة المظلمة في تاريخ مصر ومصرييها، لكن التفكير الآن هو حول السؤال: كيف يمكن لأي حركة تعلن الرغبة في (دك حصن النظام الهمجي) حشد تلك الملايين في هذا الزمن التليفزيوني؟ هل نبدأ في التفكير جديا في امكانية (تأجير) قناة فضائية؟! هل يمكن ان يتكاتف المصريون الناشطون (بطريقة ما!) لاتخاذ القرار ببدء مرحلة شريط الكاسيت او بالاحرى مرحلة القناة الفضائية.. بغرض حشد الشعب المصري على جانبي الطريق الى سبتمبر مبارك؟! هل نبدأ اذن بالاعلان: مطلوب فضائية ايجار مؤقت؟!

ريموت كنترول

■ بسطاويسي: للانصاف.. قناة «الحرة» اكثر وضوحا في مس الحالة المصرية (حتى وان كان لغرض في نفس يعقوب!)، يوم الاثنين الماضي كان برنامج (ساعة حرة) يناقش أزمة القضاء المصري.. (او بالاحرى اشراقة القضاء المصري!) وكان المستشار هشام بسطاويسي ضيفا على البرنامج.. المستشار بسطاويسي ناشد الامن المصري (مناشدة تحمل تحذيرا واضحا) ان (يرفق) بالمواطنين يوم الخميس القادم، وقال ان المواطن المصري لا يساند مكي وبسطاويسي بالذات في تظاهرات الدعم التي يخرج فيها.. وانما يساند القضاء المصري.. وانه ـ بسطاويسي ـ يفضل (العزل) على ان يرى المواطنين المصريين تنتهك كرامتهم بهذا الشكل، حسنا سيادة المستشار.. كم كان أمل دنقل جميلا حين قال: لا تصالح ولو وقفت ضد سيفك كل الشيوخ.. والرجال التي ملاتها الشروخ.. لا تصالح.. فليس سوى ان تريد انت فارس هذا الزمان.. وسواك المسوخ، لا (تنعزل) عنا يا سيادة المستشار.. حتى وان عزلوك!

■ مصر على المستقلة: هناك قنوات فضائية صارت بالنسبة للمشاهد العربي مصدر (ادمان).. يعرفها ويعرف برامجها ميعادا ومذيعا وهدفا.. بل يعرف كيف يفكر القائمون عليها.. حتى انه يتوقع ما ستقدمه هذه القناة او تلك في برنامجها هذا اليوم.. قبل ان تعلن عنه على شاشاتها، لكن هناك قنوات عندما تسأل الآخرين عنها تجدهم يعرفون اسمها.. وعندما تسألهم عما شاهدوه من برامجها لن تجدهم ـ غالبا ـ قد شاهدوا او تابعوا منها شيئا ذات يوم! وهذه خاصية للريموت كنترول.. الذي يجعلنا نعرف اسماء العديد من القنوات دون ان نعرف متى ولماذا ومن انشأها، من قنوات الظل تلك.. قناة «المستقلة»، قناة تحظى بين رفاق الريموت كنترول بشهرة.. لكنها شهرة بلا بريق، مع ذلك فانها ـ ورغم ان مالكها ليس مصريا ـ تقدم برنامجا يتمتع برؤية استراتيجية فيما يتعلق بموضوع التغيير.. وهو موضوع الساعة في العالم العربي، برنامج (مصر الديمقراطية) وتعلن عنه بدعاية ترويجية مضمونها انه «اذا ما تغيرت مصر يتغير العالم العربي»، هذه بالفعل رؤية استراتيجية.. لأن التاريخ يدلل على انه كما تنطلق نهضة الاقليم العربي من مصر.. فان ترديه وانحطاطه يبدأ عندما تنحط مصر.. سياسة وثقافة واقتصادا وكرامة، ألم يتفهم عبد الناصر تلك النقطة بعمق.. عندما حوصر في الفالوجا اثناء حرب 48. وقال عندئذ.. تحرير فلسطين يبدأ بتحرير القاهرة؟!

■ دافنشي كود: في حلقة من حلقات برنامج القاهرة اليوم كان الحديث ذات يوم ـ او الدردشة ـ عن فيلم دافنشي كود.. وما يثيره من ضجة بسبب ما يقال من انه يشكك في الديانة الكاثوليكية، وافتى عمرو اديب في دردشته الافتائية انه لا يجوز المساس بالعقائد! (ما علينا.. فوتناها دي للسيد عمرو مقابل بضع حسنات اخرى في هذا البرنامج، لكن ذلك لا يمنع (بداهة) السؤال البريء: ولماذا لا يفكر الناس في العقائد؟!).. ثم حدث هذا الاسبوع شيء ملفت للنظر.. ضجة اثيرت في مصر بسبب السماح بعرض الفيلم.. اذ خرج الى السطح اقباط يحتجون وراحت الكنيسة المصرية تحتج وترغي وتزبد.. وكأننا لا يكفينا ما يفعله الأزهر بنا! وكأننا في مصر لم تعد لدينا هموم سوى الدفاع عن التكلس الديني.. قديمه ومستقبله، اسلامه ومسيحه.. كأننا لا نعيش حاضرا سخاما يستحق التمرد عليه وننتظر مستقبلا مظلما يستحق ان نتحداه، المؤسسات الدينية في مصر ـ اسلامية ومسيحية ـ لا تقوم الا بدور المنع والتحريم وعرقلة الحرية والابداع والتقدم والاستنارة.. يا إلهي متى ينتهي عصر محاكم التفتيش هذا؟! ام انها هي مصر.. التي كتب عليها ـ دون سائر الامهات ـ ان تظل ام الدنيا والدين والخرافة والقمع.. وكل سلالة اللامعقول؟!

■ هل تصدقون هذا؟ مجلس امناء جديد لهيئة الاذاعة والتلفزيون في مصر يضم.. مفتيا؟! مفتي؟! بم سيفتي المفتي في التلفزيون؟! ماذا نفعل بعقولنا المسكينة اذن.. اذا كان المفتي ينوب عنا وعنها.. في غرف نومنا وحماماتنا ومطبخنا ومأكلنا ومشربنا وملبسنا وما نتفوه به وما نخطط له وما نحسه وما نتعلمه في المدارس والجامعات وما نشتريه وما نبيعه وبأي قدم نخطو وبأي يد نأكل وبأي عين نرى ومن نحب ومن نكره ومن نتزوج وكم ننجب بل وكيف ننجبهم!.. حتى صار الافتاء هوسا يتملك الناس.. وعصا تقود قطيعا لا يرى ولا يسمع ولا يتكلم الا بفتوى.. مفتي في التلفزيون؟! هي ناقصة!

* هويدا طه
howayda5@hotmail.com

وارضيات